Journal Of the Iraqia University (66-1) March (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

استدراكات ابن بقيرة المقدسي على النسفي في كتابه "غاية المرام" (جمع ودراسة)

م. د. محمد سيف الدين محمد
ديوان الوقف السني

Ibn Baqirah Al-Maqdisi's comments on Al-Nasafi in his book "Ghayat Al-Maram" (Collect and study)

M. Dr. Mohammed Sayf Al-Deen Mohammed Al-Norse
The Sunni Endowment Office
noris7204@gmail.com

10.58564/MABDAA.62.1.2024.734

الملخص

يتلخص البحث في جمع ودراسة استدراكات ابن بقيرة المقدسي على النسفي وذلك من خلال كتابه "غاية المرام" الذي هو شرح لكتاب "بحر الكلام" للإمام النسفي وهو من الأعلام المتقدمين في التصانيف والأُصول، ويهدف الباحث إلى استقصاء وجمع الاستدراكات في المسائل العقدية المتعلقة بمباحث الإلهيات والإيمان، واتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي في دراسته مع بيان مورد الاستدراك ومحله ومناقشته ومقارنته وإظهار الصواب فيه معتمداً على المظان الأصيلة، ليخلص الباحث إلى نتيجة أن الشواهد المبحوثة في هذه الاستدراكات لا تتجاوز توجيه عبارة، أو إزالة لبس، أو زيادة ضبط. **الكلمات المفتاحية: استدراك – المقدسي – النسفي – الإيمان – الترجيح.**

Abstract

The research boils down to collecting and studying Ibn Baqirah al-Maqdisi's comments on al-Nasafi through his book "Ghayat al-Maram," which is an explanation of the book "Bahr al-Kalam" by Imam al-Nasafi, who is one of the most prominent scholars in classifications and principles. The researcher aims to investigate and collect comments on doctrinal issues related to the issues of divinity and faith. The researcher followed the inductive and analytical approach in his study, explaining the source of the redress, its place, discussing it, comparing it, and showing what is correct in it, relying on the original meanings. The researcher came to the conclusion that the evidence investigated in these redresses does not go beyond directing a statement, removing ambiguity, or increasing precision. **Keywords: Istadrak - Al-Maqdisi - Al-Nasafi - Al-Iman - Weighting.**

المقدمة

الحمد لله ذي العرش المجيد، والعزِّ المديد، المتكفّل بعباده المتقين، العلماء العاملين، الذابين عن قواعد عقائد الدين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه الطاهرين إلى يوم الدين، وبعد:فإن علم أصول الدين يُعد من أفضل العلوم وأشرفها، لشرف موضوعاته، وهو الأصل والأساس المتين للعلوم الشرعية، وانبرى العلماء سلفاً وخلفاً بالكتابة والتأليف في علم العقائد للذب عن عقائد الإسلام، ما أثرى المكتبة الإسلامية بمصنفات غزيرة، حوت موضوعات العقيدة ومسائلها، وتنوعت بتنوع مدراسها ومشاربها، ومن ذلك الموروث العلمي متون حوت أمهات المسائل في هذا العلم المبنية على البراهين والحجج، ولاقت معظم هذه المتون خدمة وعناية الشراح بالتوضيح والتعليق عليه، وإيراد التعقيبات والاستدراكات وما إلى ذلك، لذا جاء هذا البحث بعنوان: **(استدراكات ابن بقيرة المقدسي على النسفي في كتابه "غاية المرام")** جمع ودراسة.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذه الدراسة في تعلقها بمعالجة قضايا تتعلق بعلم العقيدة والكلام، وتتعلق بفارس ميدان هذا العلم الإمام أبي المعين النسفي من العلماء المتقدمين، التي عنيت مصنفاته اهتماماً كبيراً، وحظيت بالقبول والاستحسان لا سيما عند أرباب مدرسته، إلا أن كتابه "بحر الكلام" لم يسلم بعض عباراته من التعقب والاستدراك من قبل ابن بقيّرة المقدسي كما هو عادة الشراح، وتفرد المؤلف بشرح هذا الكتاب.واهتم هذا

البحث بجمع ودراسة تلك الاستدراكات مع تحري الصواب فيها بعد المناقشة والترجيح، كما تكمن أهمية البحث في بيان مدى دقة العرض والنقد والثراء العلمي عند الإمامين الجليلين النسفي والمقدسي مما يدل على اطلاعهما، وقوة شخصيتهما، مما يشكل إضافة علمية جديدة.

مشكلة البحث: تعد مشكلة الدراسة وموضوع الاستدراكات من المشاكل القديمة، وهي تعقب اللاحقين للسابقين والمتأخرين للمتقدمين، ومن أبرز المشاكل المتعلقة بالموضوع هي ما يلي:من هو ابن بقيّرة المقدسي والنسفي؟ما هو حجم الاستدراكات العقدية التي وقف عندها ابن بقيّرة المقدسي؟ ما هو مدى مقبولية هذه الاستدراكات ومستندها وآثارها؟سنجد الحلول لهذه المشكلات في طيات هذا البحث.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى استقصاء وجمع استدراكات ابن بقيّرة المقدسي على النسفي من خلال كتابه "غاية المرام"، وكيفية معالجة القضايا المتعلقة بمسائل العقيدة في مباحث الإلهيات والإيمان من خلال تشخيص تلك الاستدراكات، ويهدف إلى بيان حجم الاستدراك بعد مناقشته ومقارنته، وبيان جانب من حياة النسفي والمقدسي وإبراز شخصيتهما وقيمة كتابيهما.

منهجية البحث: تتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال استقصاء وجمع الاستدراكات من قبل الشارح على ألفاظ الماتن ومناقشتها ومقارنتها مع التحليل وترجيح الأصوب، معتمداً على المظان الأصيلة، وذلك من خلال استدراكات ابن بقيّرة المقدسي على الإمام النسفي في كتابه "غاية المرام شرح بحر الكلام".

الدراسات السابقة: لم أجد دراسة سابقة خاصة باستدراكات المقدسي على النسفي من خلال كتابه.

هيكلية البحث: قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة:

المبحث الأول: التعريف بالنسفي والمقدسي وبكتابيهما، ويضم مطلبين:المطلب الأول: التعريف بالإمام النسفي وبحر الكلام.المطلب الثاني: التعريف بالمقدسي وشرحه غاية المرام.المبحث الثاني: استدراكات ابن بقيّرة المقدسي في المقدمات والإلهيات، ويضم مطلبين:المطلب الأول: الاستدراكات في المقدمات.المطلب الثاني: الاستدراكات في الإلهيات.المبحث الثالث: استدراكات ابن بقيّرة المقدسي في مباحث الإيمان، ويضم مطلبين:المطلب الأول: الاستدراكات في مفهوم الإيمان.المطلب الثاني: الاستدراكات في مسائل متعلقة بالإيمان.ثم الخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها، وثبت بالمصادر والمراجع.واسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وما وقع فيه من خطأ فهو من نفسي، وما جاء فيه من صواب فمن فضل الله تعالى، والله من وراء القصد، وهو الموفق والمعين.

المبحث الأول التعريف بالنسفي والمقدسي وبكتابيهما

المطلب الأول التعريف بالإمام النسفي وبحر الكلام

لا بد للباحث من تسليط الضوء على شخصية الإمام النسفي (الماتن) وكتابه من خلال ترجمة موجزة عنه، وتقديم تصور عن المتن الذي هو معني بالاستدراك عليه؛ ويلخص ذلك من خلال أمرين:

أولاً: ترجمة الإمام النسفي:هو ميمون بن محمد بن محمد بن معتمد بن مكحول النسفي، أبو المعين، وهو الإمام الأَجَلّ الزاهد الملقب بـ(سيف الحق) والمشتهر بـ(أبي المعين النسفي)، سمرقندي المولد، ولِدَ سنة (٤١٨هـ)، وسكن بخارى، وكان علماً بارعاً مُحَقِّقاً أُصُولياً مُتكَلِّماً، ويعد واحداً من أهم وأشهر علماء الكلام، فهو من أرباب المدرسة الحنفية الماتريدية، وعاش في القرنين الخامس وبدايات القرن السادس الهجري. (ينظر: القرشي، ١٣٣٢هـ، ١٩٨/٢، والزركلي، ٢٠٠٢م، ٣٤١/٧).تبوأ الإمام النسفي مكانة علمية ومعنوية رفيعة؛ فهو من الأعلام المشهود لهم بالصلاح وغزارة العلم، وأثنى عليه العلماء وأهل التراجم بذكر فضائله، ومن ذلك:قال عمر بن محمد النسفي (ت٥٣٧هـ) وهو أحد تلامذته: "كان علماء الشرق والغرب تغترف من بحاره، وتستضيء بأنواره". (قُطلُوبغا، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ٣٠٨).قال اللكنوي (ت١٣٠٤هـ)، عنه: "إمام فاضل جامع الأصول". (اللكنوي، ١٣٢٤هـ، ٢١٦).

شيوخه: نشأ أبو المعين النسفي في أسرة علمية عريقة، اشتهر كثير من أجداده بالعلم وبتلقي اللاحق عن السابق، ونهل علومه عن الأكابر، ولكن لم تسعفنا المصادر كثيراً عن حياة شيوخه في العلم، ومن أبرز الذين روى عنهم؛ الشيخان الجليلان:

١. محمد بن محمد بن معتمد والد الإمام النسفي، وقد روى عنه كتاب العالم والمتعلم. (ينظر: الكوفي، ١٣٦٨هـ، ٨).
٢. يحيى بن مطرف البلخي روى عنه رسالةً وذكره في سندها. (ينظر: الكوفي، ١٣٦٨هـ، ٣٤).

تلامذته: أخذ عنه الكثير من الأعلام، مما يدل على جلالة قدره وسعة علمه، ومنهم الشيخان الجليلان:

١. عمر بن محمد بن أحمد النسفي، أبو حفص، نجم الدين، الفقيه الحنفي، الأُصولي المُتكلم، صاحب متن العقائد النسفية المشهور، وقد كان أبا المعين أستاذه المباشر، توفي سنة (٥٣٧هـ) رحمه الله. (ينظر: القرشي، ١٣٣٢هـ، ٣٩٤/١، وقُطلُوبغا، ١٩٩٢م، ٢١٩).

٢. محمد بن أحمد بن أبي أحمد أبو بكر علاء الدين السمرقندي، الفقيه الأصولي، صاحب كتاب "تحفة الفقهاء"، تفقّه على أبي المعين النسفي، وروى عنه "الفقه الأكبر"، توفي سنة (٥٧٥هـ) رحمه الله. (ينظر: قُطلُوبغا، ١٩٩٢م، ٢٥٢، واللكنوي، ١٣٢٤هـ، ٢١٦).

مؤلفاته: لقد نالت مصنفات أبي المعين النسفي رحمه الله قيمة علمية عالية في مختلف العلوم عامة، وفي علم العقائد والكلام خاصة، ومؤلفاته تشهد بذلك، ومن أهم تصانيفه:

١. تبصرة الأدلة في أصول الدين؛ وهو من أهم كتبه العقدية، ويعد موسوعة كلامية اعتمد عليها العلماء كثيراً، ويأتي على رأس مؤلفاته وهو العمدة من بينها، فلذا يطلق عليه "أصول النسفي"، والكتاب مطبوع بتحقيق محمد الأنور، صدر عن المكتبة الأزهرية بالقاهرة سنة ٢٠١١م، بطبعته الأولى.

٢. بحر الكلام؛ وهو متن مقتضب في علم العقائد، وسيأتي التعريف به، الكتاب طبع عدة مرات، صدر حديثاً بتحقيق محمد السيد البرسيجي عن دار الفتح بعمان سنة ٢٠١٤م، بطبعته الأولى. (ينظر: القرشي، ١٣٣٢هـ، ٢٦٧/٢، والزركلي، ٢٠٠٢م، ٣٤١/٧).

وفاته: توفي الإمام النسفي رحمه الله تعالى سنة (٥٠٨هـ) وعليه أجمعت المصادر التي ترجمت له (ينظر: قُطلُوبغا، ١٩٩٢م، ٣٠٨).

ثانياً: التعريف بمتن الكتاب "بحر الكلام":

المتن هو كتاب مختصر يحوي فصول ومسائل في علم العقائد المسمى: "بحر الكلام"، ونسبته للإمام أبي المعين النسفي متحققة (ينظر: حاجي خليفة، ١٩٤١م، ٢٢٥/١)يتضمن الكتاب بحث المسائل العقدية والكلامية والرد على بعض الفرق الإسلامية وغيرهم، وإبطال شبه أهل الأهواء. ويستند في كتابه إلى الأدلة العقلية والنقلية، ويكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث والأخبار، مما يدل على تميزه في قوة استحضاره للنصوص الشرعية، واختلف طريقة المؤلف في عرض المسائل بهذا الكتاب عن مصنفاته الأخرى.

المطلب الثاني التعريف بالمقدسي وشرحه غاية المرام

تقتضي مدرجات البحث العلمي تسليط الضوء على شخصية ابن بقيّرة المقدسي (الشارح) والتعريف بكتابه الذي شرح فيه متن "بحر الكلام"، حيث أورد عليه بعض الاستدراكات التي هي مجال البحث، وذلك بأمرين:

أولاً: ترجمة ابن بقيّرة المقدسي:هو حسن بن أبي بكر بن أحمد القدسي، بدر الدين الحنفي، النحوي، والمشتهر بـ(ابن بُقيّرَة) – بالتصغير وإمالة الراء– وبقيرة لقب أَبِيه، ولد ببيت المقدس سنة (٧٦٨هـ)، طلب العلم بالقدس ثم ارتحل إلى الشام ثم القاهرة. (ينظر: السخاوي، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ٩٦/٣، وابن العماد الحنبلي، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ٣١٥/٩).تقلّد ابن بقيّرة المقدسي بعض الوظائف العلمية والإدارية فتولّى القضاء نيابةً ثم التدريس والخطابة (ابن العماد الحنبلي، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ٣١٥/٩)، وشهد بعض المترجمين له ومن ذلك:قال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ): "اشتغل قديماً من سنة ثمانين وهلم جراً بالقدس ثم بدمشق ثم بالقاهرة". (العسقلاني، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، ٥٠٥/٣).قال السخاوي (ت ٩٠٢هـ): "كان فاضلاً في العربية وغيره، وناب في القضاء" (السخاوي، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ٩٦/٣).

شيوخه: لم تسعفنا مصادر التراجم والطبقات إلا بنزر يسير من أسماء شيوخه وتلامذته وحياته، ومما وقفت عليه: أنه أخذ العلم في بيت المقدس عن: "عمه الشهاب أحمد، والشريح، وخير الدين، والطبقة" (السخاوي، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ٩٦/٣).

تلامذته: ذُكِرَ أن ممن أخذ عن ابن بقيّرة في النحو الشهاب المنصوري الشاعر. (ينظر: السخاوي، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ٩٦/٣).

مؤلفاته: لم أقف إلا على اثنين من مصنفاته كما يلي (ينظر: الباباني، ١٤/٤، ١٤١):

١. السرور في شرح الشذور؛ المنسوب لابن هشام في علم النحو، وهو غير مطبوع.

٢. غاية المرام في شرح بحر الكلام؛ الذي شرح فيه (بحر الكلام) للإمام النسفي، وهو مطبوع صدر بتحقيق: د. عبد الله محمد ومحمد السيد أحمد عن المكتبة الأزهرية للتراث، سنة ٢٠١٢م، بطبعته الأولى، وهو محل دراسة بحثنا هذا.

وفاته: توفي ابن بقيّرة المقدسي سنة (٨٣٦هـ) رحمه الله تعالى (ينظر: قُطلُوبغا، ١٩٩٢م، ٣٠٨).

ثانياً: التعريف بكتاب "غاية المرام في شرح بحر الكلام":

هو مصنف في علم العقائد والكلام، وشرح على متن (بحر الكلام) للإمام النسفي، وقد انفرد بشرحه ابن بقيّرة المقدسي وبرع فيه، وطريقته في شرح المتن بأن يأتي بموضوع من المتن ويشرحه، ويضع نص (بحر الكلام) بداية كل موضوع، ويصدره بقوله: (قال المصنف) عند الإشارة إلى المتن؛ فأسلوب الشرح بـ(قال أقول) من طرق شرح المتون المعروفة، ولا يقتصر على شرح عبارات المتن مطرداً، بل يأتي بعبارة أحياناً ويلحقها بمواضيع

متعلقة بها، ولا يترك نصاً من المتن إلا وعقب عليه وشرحه بالتوضيح والتحليل وتوسع فيه، وقد يستدرك على الماتن أحياناًمنهج الشارح عموماً العمل على تفصيل لكل ما أُجمِلَ وهذا دأب اللاحقين مع السابقين، ويتوسع أحياناً في التعرض لآراء الفرق الأخرى، وعرضه لمسائل الخلاف، وإيراد الأدلة من المعقول والمنقول، وهذا مجمل ما قرره المؤلف في كتابه.ونسبة هذا الكتاب إلى ابن بقيّرة المقدسي متحققة وثابتة، وتوافقت المصادر التي عنيت بأسماء الكتب والتراجم على صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه. (ينظر: الباباني، ١٤١/٤، وكحالة، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، ٢١٠/٣).

المبحث الثاني استدراكات ابن بقيرة المقدسي في المقدمات والإلهيات

المطلب الأول الاستدراكات في المقدمات

استدرك ابن بقيرة المقدسي على النسفي في مقدمته على مسائل كما يأتي:

الاستدراك الأول: استعمال مصطلح "المعرفة":

المستدرك عليه: قال النسفي في مقدمته: "اعلموا أنّي أعتقد معرفة الله والتوحيد" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢١٨).

مورد الاستدراك: استدرك ابن بقيرة على عبارة المصنف فقال: "كان الأولى أن يقول: أعتقد العلم بالله" –بدلاً من المعرفة–، وعلّل للنسفي عبارته وأنصفه بقوله: "إلا أنه حاول التنبيه على أن المراد بالمعرفة العلم لا كما أصطلح عليه قوم من تخصيص العلم بالمركبات والكليات، والمعرفة بالبسائط والجزئيات" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢١٨).

المناقشة والترجيح:المراد بالمعرفة في العقائد معرفة الله تعالى، أما المعرفة مطلقاً فهو "إدراك الشيء على ما هو عليه" (الجرجاني، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ٢٢١)، وهو مسبوق بنسيانٍ حاصلٍ بعد العلم بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق بالعالِم دون العارف.والظاهر أن استدراك المقدسي مبني على أن المعرفة بعمومها تشبه التصوّر – الذي هو إدراك الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات – (ينظر: الجرجاني، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ٥٩)، والعلم يحمل التصديق، فالعلم بالله أبلغ وأدخل في الاعتقاد من المعرفة بالله، وعدم إضافة المعرفة لا يرجع إلى الإفراد والتركيب، وإنما يرجع إلى معنى المعرفة، ومجال استعمالها إنما هو فيما سبق تصوره من نسيان أو ذهول.والخلاصة أن المعرفة تطلق على معانٍ وباعتبارات مختلفة؛ منها العلم بمعنى الإدراك مطلقاً تصوّراً كان أو تصديقاً، ومنها تطلق على التصوّر وعلى هذا يسمّى التصديق علماً، ومنها إدراك البسيط وغير ذلك، ولا مشاحة في الاصطلاح، والأقرب أن يجعل استعمال المعرفة في التصوّرات والعلم في التصديقات أصلاً لأنّه عين المعنى اللغوي (ينظر: التهانوي، ١٩٦٩م، ١٥٨٢/٢).

الاستدراك الثاني: تعريف العلم:

المستدرك عليه: قال النسفي عن حد العلم هو: "معرفة المعلوم على ما هو به وهو علم المخلوقين" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢٥١).

مورد الاستدراك: اعترض المقدسي على اختيار النسفي لهذا التعريف ولم يرتضه، فقال: "هذا التعريف للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) من الأشعرية (الباقلاني، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، ص٢٥)، واعترض المقدسي عليه بأنه ليس بجامع لخروج علم الباري؛ لأن العلم اسم للعلم المُحدَث، وهو انكشاف عن شيء بعد لبس وتوهم والله منزه عنه ولا يُلتفت إلى قول بعض الكرامية بأن الله يوصف بالمعرفة والعارف كما يوصف بالعالم؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية، ولم يرد التوقيف بإطلاق اسم العارف عليه" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢٥١– ٢٥٢).وقد أضاف النسفي على حد الباقلاني قيداً لدفع الاعتراض: "وهو علم المخلوقين"اعترض عليه المقدسي قائلاً: "والمصنف أشار إلى دفع هذا الاعتراض بأن هذا تعريف لعلم المخلوقين لا لمطلق العلم، وفيه نظر؛ لأنه تعريف لفرد والتعريف إنما هو للحقيقة لا للأفراد" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢٥١– ٢٥٢).

المناقشة والترجيح:اختلفت الأقوال في تعريف العلم، قال التفتازاني (ت٧٩٣هـ): "ثم أكثر تعريفات العلم مدخولة" (التفتازاني، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ١٧/١)، وجدير بالذكر أن النسفي في كتابه "تبصرة الأدلة" أفسد تعريف الباقلاني ورد عليه قال: "وهو أيضاً فاسد؛ لأن العلم لو كان معرفة، لكان العالم عارفاً، والله تعالى يوصف أنه عالم، ولا يوصف بأنه عارف" (النسفي، ٢٠١١م، ١٣٠/١)، ومما اختاره النسفي في "تبصرة الأدلة" والذي اختلف تماماً عما ذكره في كتابه "بحر الكلام"، فقال: "حقيقة العلم: أَنَّهُ يُوجِبُ كَونَ مَنْ قَامَ بِهِ عَالِمَاً، أَوِ الوَصفُ الذيْ مَنْ قَامِ بِهِ كَانَ عَالِمَاً"، واعترض المحققون المتأخرون على هذا التعريف بقرائن، قال الجرجاني (ت ٨١٦هـ): "وفيه دور ظاهر لأخذ العالم في تعريف العلم" (الإيجي، الجرجاني، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ٥٤/١)وتعددت الآراء بكثرة في تعريف العلم لا يسع المقام لسردها، لكن المختار منها ما عليه المحققون المتأخرون من المتكلمين وهو: "صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به"، وهو اختيار المتأخرين من المحققين كالتفتازاني والجرجاني (التفتازاني، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ١٨/١، والإيجي، الجرجاني، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ٥٩/١)وقد نسب ابن بقيّرة المقدسي هذا التعريف إلى الإمام الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، ولم يعلق عليه كثيراً فقال: "وقيد بالمذكور أي ما يذكر، ويمكن أن يعبر عنه ليندرج تحته الموجود والمعدوم، وفيه ما فيه، وهو أن التجلي يشمل

الظن، ويمكن أن يقال: المراد بالتجلي التام فخرج الظن" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢٥٣)، ولكن المحققين ارتضوه وهو الراجح عندهم، قال الجرجاني: "واعلم أن أحسن ما قيل في الكشف عن ماهية العلم هو أنه صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به؛ فالمذكور يتناول الموجود والمعدوم الممكن والمستحيل بلا خلاف ويتناول المفرد والمركب والكلي والجزئي" (الإيجي، الجرجاني، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ٥٩/١).

محصلة المسألة: يثبت أن المقصود من كلامهم أنه تعريف جامع مانع يجمع كل شروط الحد ولا يرد عليه شيء من الاعتراضات المفسدة.

المطلب الثاني الاستدراكات في مباحث الإلهيات

استدرك ابن بقيرة المقدسي على النسفي في مباحث الإلهيات كما يأتي:

الاستدراك الأول: يتعلق بالصفات الإلهية:

المستدرك عليه: الصفات الإلهية على وجهين؛ صفات الذات، وصفات الفعل، أثبت النسفي قدم الصفات وأزليتها جميعاً، قال: "وبجميع صفاته وأسمائه قديمٌ أزليٌ" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٣٤٦)، أي من غير تفريق في الأزلية والقدم، ثم أورد النسفي سؤالاً وساق الجواب عليه: "فإن قيل: ما الدليل على أن هذه الصفات قديمات أزليات؟.قلنا لهم: إن الله تعالى لو لم يكن قادراً في الأزل كيف قدر حين خلق القدرة؟، وكيف قدر حين خلق الحياة؟، وكيف علم حين خلق العلم والسمع والبصر؟، فيؤدي إلى أن يوصف الله تعالى بالعجز والجهل قبل ذلك، وهذا ممتنعٌ" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٣٥١).

مورد الاستدراك: قال المقدسي: "وهذا الذي ذكره المصنف من الجواب دليل على أن صفات الذات قديمة، والسؤال إنما هو لطلب الدليل على قدم الصفات مطلقاً، فلا يطابق الجواب السؤال إلا في بعض المسؤول عنه، نعم قد يقال: إنما ذكر الدليل خاصاً بصفات الذات؛ لأنه سيذكر الدليل على قدم صفات الأفعال بعد ذلك" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٣٥٢–٣٥٣).

المناقشة والترجيح:هذا الاعتراض على عبارة النسفي على أن جوابه لا يشمل الصفات كلها لا أراه في موضعه – والله أعلم –؛ لأنه عرج بعد الجواب إلى التأكيد على قدم صفات الفعل أيضاً دون تفريق في القدم والأزلية إلى أن قال: "وأما صفات الفعل كالتخليق والترزيق...، فكلها قديمات أزليات" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٣٥٣).

الاستدراك الثاني: معنى "النور" في حق الباري عزّ وجلّ:

المستدرك عليه: تعرض النسفي إلى معنى لفظة: (النور) في خضم نقاشه مع المشبهة والرد عليهم قال: "وهم احتجوا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة النور: ٣٥]، سمى نفسه نوراً.والجواب عنه أن نقول: قال ابن عباس (ت ٦٨هـ) رضي الله عنهما: يعني منوِّر السماوات والأرض، وقال بعضهم: يعني هادي أهلِ السموات والأرض" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٣٧٧).

مورد الاستدراك: استدرك المقدسي على الماتن قال: "وفيه نظر؛ لأنه يلزم الترادف في أسماء الله، والأصل عدمه" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٣٧٩)، أي يلزم الاتحاد في المفهوم كالإنسان والبشر.

المناقشة والترجيح:ذهب المقدسي إلى أن الأصل عدم الترادف في أسماء الله تعالى؛ لأنه لا بد للاسم من أن يفيد معناً جديداً لله تعالى، فلا يقال نور السموات بمعنى: هادي أهل السماوات؛ لأنه حينئذ لم يضف الاسم جديداً لله تعالى؛ لأن اسم الهادي موجود ضمن أسماء الله الحسنى.وذهب آخرون إلى جواز التفسير بذلك المعنى، والذي نقله النسفي؛ فيكون معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة النور: ٣٥]، أي: منوِّر السموات والأرض، أو: مدبر، أو: هادي أهل السماوات والأرض، واختار الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) المعنى الأخير فقال: "هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون، واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم فيه نحو الذي قلنا" (الطبري، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ١٧٧/١٩– ١٧٨)، وبعد أن ذكر الأقوال والآثار في التأويلات ذهب إلى ترجيح المعنى الذي اختاره وعضده بالأدلة، ويتبين بعد هذا الايجاز أن استدراك المقدسي على النسفي غير مُلزِم.

الاستدراك الثالث: حكم قراءة "المُصوَّر" بالفتح:

المستدرك عليه: استدل النسفي على أن الباري تعالى لا يوصف بالصورة في معرض الرد على المشبهة بقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، "فإن قُرِئَ المُصوَّر بالفتح عمداً يكفر، وإن أخطأ تفسد صلاته" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٤٠٢).

مورد الاستدراك: استدرك المقدسي على حكم الكفر لمن قرأ (المُصوَّر) بفتح الواو عمداً؛ فقال: "التخصيص بقوله –عمداً – مذهب البعض" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٤٠٣)، فلم يُسلِّم له التعميم.

المناقشة والترجيح:

الخطأ في الإعراب سهواً يؤدي إلى تغيير المعنى كالفتح في محل النصب أو الرفع في محل الجر، إن غيّر المعنى تغييراً ظاهره كفر كمن قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة الحشر: ٢٤]، برفع اسم الجلالة الله ونصب العلماء فسدت الصلاة في قول المتقدمين، وعند المتأخرين لا تفسد عند بعضهم، وما قاله المتقدمون أحوط، أما قراءة (المُصوَّر) بفتح الواو تعمداً فهو محل استدراك المقدسي، وعلّله أنه مذهب البعض، نعم لا يُسلَّم للإمام النسفي التعميم بكفر من تعمد القراءة بالفتح فهو ليس محل اتفاق؛ لوجود قرائن تؤيد رأي المقدسي، فلا يُعدُّ كفراً في حالة العمد بمجرد القراءة بالفتح لورود تأويلات، وفي قراءة شاذة أنه قرأ "البارئ المُصوَّر" بفتح الواو ونصب الراء، أي الذي يبرأ المصور، أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات. (القرطبي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ٤٨/١٨).والمعنى: بناءً على اعتبار أنه اسم مفعول، وتأويله: أنه مفعول لاسم الفاعل الذي هو البارئ، فإنه يعمل عمل الفعل; كأنه قال: الذي برأ المصور. (الزركشي، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ٣٤١/١).

الاستدراك الرابع: عدم إفادة حرف (لن) في نفيها التأبيد:

المستدرك عليه: استدل النسفي بأدلة قرآنية تبرهن أن (لن) لا تفيد التأبيد؛ ولا يُسلِّمُ للمعتزلة استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣] على نفي رؤية الله تعالى، ومما استدل به النسفي قوله تعالى حكاية عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ [سورة مريم: ٢٦]، فإن (لن) في هذه الآية ليست للتأبيد. (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٤٢٨).

مورد الاستدراك: استدرك المقدسي على النسفي في وجه استدلاله بهذه الآية؛ فقال: "فإن (لن) في هذه الآية ليست للتأبيد، وفيه نظر؛ لأن عدم التأبيد استفيد من القرينة، وهو ذكر اليوم" (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٤٣٠).

المناقشة والترجيح:إن تقييد النفي بـ (لن) بذكر (اليوم) منافٍ للتأبيد، رداً على المعتزلة الزاعمين أن (لن) تفيد التأبيد، ولو كانت للتأبيد لم يُقيَّد منفيُّها باليوم في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾، ولكان ذكر الأبد معها تكراراً كما في قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾ [سورة البقرة: ٩٥]، والأصل عدمه. (السيوطي، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ٢٧٩/٢).

المبحث الثالث استدراكات ابن بقيرة المقدسي في مباحث الإيمان

المطلب الأول الاستدراك في مفهوم الإيمان

استدرك ابن بقيرة المقدسي على النسفي في مسائل متعلقة بمفهوم الإيمان منها:

الاستدراك الأول: ترادف مصطلح الإسلام للإيمان:

المستدرك عليه: أورد النسفي مصطلحات عقدية عدة بصيغة السؤال وذكر منها ما نصه: "وما الإيمان؟، وما الإسلام؟" وعرفهما لاحقاً بقوله: "الإيمان: الإقرار باللسان والتصديق بالقلب بوحدانية الله تعالى، وأما الإسلام: أن تعبد اللهَ بالوحدانية". (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٢٤٢).

مورد الاستدراك: استدرك المقدسي على ظاهر العبارة بأنها قد توهم نفي الترادف بين الإيمان والإسلام، وقال: "وظاهر عبارة المصنف تقتضي أن الإسلام ليس مرادفاً للإيمان، وليس كذلك عندنا؛ لأن عبادة الله من فروعهما". (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٢٤٤).

المناقشة والترجيح:الإسلام والإيمان مترادفان عندهما، إذ لا يأتي بأفعال الإيمان إلا من كان مسلماً، ولا يأتي بأفعال الإسلام إلا من كان مؤمناً، وهذا مراد الحنفية الماتريدية بترادف الاسمين واتحاد المعنى وعدم التغاير على ما قال النسفي في التبصرة: "الاسمان من قبيل الأسماء المترادفة وكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن، وذلك لأن الإيمان اسم لتصديق شهادة العقول والآثار على وحدانية الله تعالى، وأن له الخلق والأمر لا شريك له في ذلك، والإسلام إسلام المرء نفسه بكليتها لله تعالى بالعبودية له من غير شرك". (النسفي، ٢٠١١م، ١٠٩٤/٢)، فأطلق الترادف على الاسمين بما يدل على تلازم مفهوميهما لا اتحادهما. (ينظر: التفتازاني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ٢٩٦/٢، وكمال الدين، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٢٩١-٢٩٢)هذا هو رأي النسفي وهو مذهب جمهور علماء الكلام أن الإسلام والإيمان واحد (ينظر: الإيجي، الجرجاني، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٥٣٧/٣)، بمعنى رجوعهما إلى الإذعان والقبول والتسليم، ولكنهما متلازمان شرعاً، بمعنى لا ينفك أحدهما عن الآخر، لا الاتحاد بحب المفهوم، لما قال نور الدين الصابوني (ت ٧٧٥هـ): "إن الإسلام والإيمان واحد عندنا...؛ لأن الإيمان هو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من أوامره ونواهيه، والإسلام هو الانقياد والخضوع للأُلوهية؛ فالإيمان لا ينفك عن الإسلام حكماً فلا يتغايران". (الصابوني، ١٩٦٩م، ١٥٧)وبناءً على البحث واستقصاء المفاهيم في المسألة تبين أن المراد بالاتحاد هو عدم الانفكاك ولا يعني أنهما متحدان مفهوماً – أي معناً– فالإسلام بمعنى الانقياد يغاير معنى الإيمان الذي هو التصديق، أو ما صدقاً –أي أفراداً– فما يصدق عليه اسم الإيمان من المفاهيم يختلف عما يصدق عليه الإسلام، بل المراد أنهما متحدان محلاً،

فكل ما كان محلاً لأحدهما كان محلاً للآخر، هذا إن لوحظ في كل التقييد (المنجي لا نجاة إلا باجتماعهما)، وإلا فلا تلازم في ذلك، بل بينهما العموم والخصوص الوجهي يجتمعان وقد يفترقان، هذا ما ذهب إليه جمهور الاشاعرة (ينظر: التفتازاني، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ٢٥٩/٢، والباجوري، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ٥٧)وبعد الاستقراء تبين أن الاتجاه الآخر ذهب فريق فيهم إلى رأي مختلف وهم جمع من أهل الحديث ذهبوا إلى أن الإيمان والإسلام متغايران، مفهوماً، وما صدقاً، ولا تلازم بينهما (ينظر: التفتازاني، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ٢٦١/٢، والدوري، ١٤٣٧هـ – ٢١٠٦م، ص٢٦٥)، ولكن موقف الإمام النسفي في محصلّة البحث جليٌّ في اعتبار الإسلام مرادفاً للإيمان كما سبق، وهو موافق لما عليه الجمهور، واستدراك المقدسي على ظاهر عبارته مندفع.

الاستدراك الثاني: حقيقة الإيمان:

المستدرك عليه: قال النسفي: "الإيمان: الإقرار باللسان والتصديق بالقلب بوحدانية الله تعالى" (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢٤٢–٢٤٣)، وقال النسفي في موضع آخر ما نصه: "فثبت أن التصديق شرط صحة الإيمان". (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢٤٥).

مورد الاستدراك: قال المقدسي: "وظاهر عبارة المصنف أن الإقرار ركن لكنه زائد يحتمل السقوط بعذر الإكراه، والتصديق ركن لكنه أصلي لا يحتمل السقوط حتى لو تبدل بضده يكون كفراً...الخ". (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢٤٥).

وقال عن الأخير مظهراً اعتراضه واستغرابه: "فيه نظر؛ لأن التصديق نفس الإيمان، فكيف يكون شرطاً لنفسه!، اللهم إلا أن يريد بالإيمان الإقرار، فحينئذ يستقيم إذ الإقرار لا يعتبر ما لم ينضم إليه التصديق".(المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢٤٥).

المناقشة والترجيح:تعرض المقدسي إلى قولين في حقيقة الإيمان:

القول الأول: هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب، وهو قول النسفي في متن الكتاب، وبيّن المقدسي أنه اختيار فخر الإسلام (ت ٤٨٢هـ)، وشمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، ولكنَّ الإقرار ركن زائد عندهم.والقول الثاني: أن الإيمان هو التصديق فقط، وهو مذهب المحققين من الماتريدية، واختيار أبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، والإقرار شرط لإجراء الأحكام، وهذا ما عليه المقدسي. (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٢٤٥–٢٤٦).وبعد بحث واستقصاء يثبت أنَّ القول الأول هو قول الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ)، رحمه الله تعالى (ينظر: البابرتي، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ٦١– ٦٢)، ومشهور عن بعض أئمة مذهب الإمام أبي حنيفة (ينظر: الدوري، ١٤٣٧هـ – ٢١٠٦م، ٢٤٧)، وهو اختيار البزدوي والسرخسي، وبهذا الرأي قال بعض المتكلمين أيضاً. (ينظر: التفتازاني، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ٢٤٨/٢، والقاري، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ١٨٠– ١٨٢)والاقرار عند أصحاب هذا القول هو شطر الايمان وركن في قبوله، إلا أنه ليس بركن أصلي، قال العيني (ت٨٥٥هـ): "هو ركن لكنه ليس بأصلي له كالتصديق بل هو ركن زائد ولهذا يسقط حالة الإكراه والعجز". (العيني، ١٠٣/١)وأما القول الأخير بأن الإيمان هو التصديق فقط، فهو مذهب عامة المتكملين وجمهورهم (ينظر: الإيجي، الجرجاني، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، ٥٣٣/٣، والقاري، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، ١٨٢– ١٨٣)وهذا المذهب هو اختيار أبي منصور الماتريدي، وقول أبي الحسن الأشعري في أصح الروايتين عنه. (الأشعري، ٢٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ٧٨، والماتريدي، ١٩٧٠م، ٣٧٣)، وبهذا القول أخذ أبو المعين النسفي في كتابه "تبصرة الأدلة" (النسفي، ٢٠١١م، ١٥٤/١)، ولكن أصحاب هذا القول جعلوا الاقرار باللسان شرطاً لإجراء الأحكام في الدنيا ولا دخل له بحقيقة الايمان؛ لما أن التصديق بالقلب أمر باطن، لابد له من علامة ظاهرة.وبعد هذا المخاض في تأصيل المسألة ومقارنتها تتبين في المحصلّة أن استدراك المقدسي على النسفي في تفسير ظاهر مراده من كلامه بجعل الإقرار ركناً أساسياً لا يسلم له ذلك؛ لاحتماله أن يكون ركناً زائداً والإقرار باللسان إجمالاً، وإن كان ظاهر كلام الإمام النسفي في هذا الكتاب – بحر الكلام – يدل على أن الايمان مجموع الجزأين الاقرار والتصديق.

المطلب الثاني الاستدراكات في مسائل متعلقة بالإيمان

استدرك ابن بقيرة المقدسي على النسفي في مسائل متعلقة بمباحث الإيمان كما يأتي:

الاستدراك الأول: إيمان أهل الكهف وسحرة فرعون:

المستدرك عليه: مما استدل به النسفي على أن العمل ليس من الإيمان، هو إيمان أهل الكهف وسحرة فرعون ودخولهم الجنة ولم يعملوا؛ فقال: "أجمعنا على أن سحرة فرعون وأهل الكهف من أهل الجنة، وإن لم يوجد منهم العمل". (المقدسي، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، ٥٠٥).

مورد الاستدراك: استدرك المقدسي على النسفي على اعتبار أنهم من أهل الجنة بنص القرآن قطعاً، فقال: "بل ثبت بالقرآن أنهم مؤمنون، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢١-١٢٢]، وقول أهل الكهف: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [سورة الكهف: ١٤]، ومن كان مؤمناً كان من أهل الجنة" (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٥٠٥).

المناقشة والترجيح:

لو كان العمل جزءاً حقيقياً من الإيمان لوجب أن يدخلوا النار لكن العمل من أجزاء الكمال، هذا المبدأ يتفق عليه المقدسي مع النسفي لكن محل استدراكه عليه أن الدليل على دخولهم الجنة ثبت بالنص وهو أثبت من قول النسفي "أجمعنا".

الاستدراك الثاني: معرفة شرائط الإيمان:

المستدرك عليه: من عرف شرائط الإيمان إجمالاً يكون مؤمناً خلافاً للمعتزلة قال النسفي: "قالت المعتزلة: لا يصير الإنسان مؤمناً حتى يعرف جميع شرائط الإيمان، ويصف تلك الشرائط بلسانه تفصيلاً أي: يقر بها ويصدق بها بقلبه، وقالت المعتزلة: ما ذكرنا هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى". (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٣٢٧-٣٢٨).ثم أعقب النسفي بالرد على المعتزلة وبيان فساد رأيهم فيمن تزوجت صغيرةً وأدركت فاستُوصِفَت منها شرائط الإيمان، فقال: "لكنّا نقول - يعني به أهل السنة - توصف لها شرائط الإيمان، فإن علمت فهي امرأته، وإن لم تعلم أو قالت: لا أدري، بانت منه". (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٣٢٨).

مورد الاستدراك: شرح المقدسي كلام النسفي موضحاً رأي أهل السنة: "أنه لا يشترط الإقرار باللسان تفصيلاً بل يكفي إجمالاً، لأن الإنسان قد يعرف الشيء، ويعسر عليه التعبير عنه تفصيلاً حتى لو وصف لها الزوج الشرائط المذكورة، فقالت أعلمها، وأصدق بها كان كافياً، وهذا القول مختار أكثر المشايخ، والأخذ به أيسر" (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٣٢٨).

ثم استدرك المقدسي على ما قاله النسفي وخالفه فيه فقال: "وفي كلام المصنف إشارة إلى أن مجرد إخبارها بالعلم كافٍ، وليس كذلك؛ لأن العلم بالشيء لا يستلزم التصديق به، وإن قالت لا أعلم ولا أدري بانت من زوجها" (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٣٢٨-٣٢٩).

المناقشة والترجيح:

إن ما يترتب من أثر الحكم ببينونتها أو عدمها مسألة فرعية محلها في الفروع الفقهية، ومجال بحثها ليس في الأُصول العقدية، لكن المقدسي استطرد عند استدراكه على كلام النسفي فساق ما يعارض قول النسفي بعض الفتاوى بأنه إذا استوصفت فأظهرت الجهل فنكاحها صحيح، وعلى الزوج أن يعلمها، وإذا استوصفها فلم تصف فهل يحلّ وطؤها أم بانت منه؟، فروي عن محمد بن الحسن روايتان في المسألة، هذا ما أورده المقدسي (ينظر: المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٣٢٩)وبعد البحث والتتبع والتحليل لكلام الإمام محمد الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) في الفروع يظهر التفريق في أن الزوجة الصغيرة إن بلغت ولم تصف الإسلام أو ديناً لأهل الكتاب فقد بانت، ولو كانت تعقل دين الإسلام أو ديانة أهل الكتاب قبل البلوغ فلم تصف ذلك ولا غيره لم تبن؛ لأنها على دين أبويها، وإن وصفت المجوسية ودانت به وهي تعقل ذلك ولم تبلغ بانت على قول الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ) ومحمد الشيباني، ولم تبن في قول أبي يوسف (ت ١٨٢هـ) رضي الله عنهم. (ينظر: الشيباني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص٩٤).

الاستدراك الثالث: التوبة عن الذنب:

المستدرك عليه: إن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان، والمتتبع للأدلة القرآنية يجدها خاطبت المذنب وعدّته مؤمناً وأمرته بالتوبة، قال النسفي: "والتوبة إنما تكون من الحَوبة من الكبيرة" (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٥٣٣).

مورد الاستدراك: اعترض على عبارة النسفي ولم يرتض بها فقال: "وفيه نظر؛ لأن التوبة تكون من الصغائر أيضاً" (المقدسي، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٢م، ٥٣٣)

المناقشة والترجيح:

الذي يبدو لي أن اعتراضه فيه نوع تعسف وتكلّف في تفسير كلام الماتن، لأن النسفي ساق الكلام في سياق موضوع مرتكب الكبيرة ولا شك أنه يقر بالتوبة عن الكبيرة والصغيرة كلاهما.

الخاتمـــــة

أولاً: النتائج: أهم ما توصلت إليه في محصلة البحث:

١. استدراك العلماء المتأخرين على المتقدمين أسلوب معتاد فيما بينهم ويترجح حسب القرائن، وأثمر هذا البحث أن الغرض من استدراك ابن بقيّرة المقدسي على النسفي لم يكن قدحاً أو تعريضاً بصاحبه.

٢. بلغت استدراكات المقدسي على النسفي في المقدمة ومباحث الإلهيات والإيمان إحدى عشر مسألةً.

٣. استدرك المقدسي على عبارة النسفي في مقدمته على استعمال "المعرفة" في الاعتقاد بدلاً من "العلم"، ورأيه هو الأقرب إلى الصواب لمطابقته المعنى اللغوي.

٤. اختلفت التعاريف في تحديد العلم، واعترض المقدسي على اختيار النسفي لحد العلم ولم يرتض به.

٥. اعتراضه في عدم مطابقة الجواب للسؤال في قِدَم الصفات وأزليتها وعلى تفسير النور بمعنى الهادي لم يكن موفقاً.

٦. استدراكه على النسفي في حكم قراءة (المُصوَّر) بفتح الواو عمداً، وتؤيد القرائن رأي المقدسي.

٧. استدراكه واعتراضه للمسائل المتعلقة بمباحث الإيمان لم يكن مناسباً غالباً للتكلّف في تفسير المتن تارةً، أو لوجود أكثر من رأي في المسألة تارةً أخرى.

٨. أظهر البحث اتصاف الشارح العالم المتفنن بحسن الأدب مع مصنفه وهو دأب العلماء.

٩. حجم الاستدراكات قليل نسبة إلى حجم كتابه، ورغم تمسك المقدسي بتلك الآراء، إلا أن السائد عن شخصيته هو الاهتمام برفع الخلاف لا سيما بين المدارس الكلامية الحقّة.

١٠. أتاح البحث فرصة التعرف على شخصية غير مشتهرة ومدى دقة العرض والنقد في كتابه.

١١. أكدت هذه الدراسة أن التوضيح لبعض ما استشكل من عبارة الماتن هو من أساسيات الشرح لكتاب ما، وأما الاستدراكات والتعقيبات فهي مقيدة بوجهة نظر الشارح حسب ما يقرره.

١٢. الشواهد المبحوثة في هذه الاستدراكات لا تتجاوز توجيه عبارة، أو إزالة لبس، أو دفع توهم، أو إكمال نقصٍ، أو زيادة ضبط.

ثانياً: التوصيات:

١. دعوة الباحثين إلى الاجتهاد في تتبع الاستدراكات من قبل اللاحقين على السابقين وبين الشراح وأهل المتون لا سيما في العلوم المهتمة في القضايا العقدية، بما يخدم تقرير المسائل وتحريرها، والتقريب بين الآراء والمذاهب.

٢. ضرورة ربط الأجيال القادمة من الطلبة والباحثين بميراثهم العلمي الأصيل، وتعريفهم بالعلماء السابقين من مختلف بقاع الأرض؛ لتوظيف جهودهم العلمية في خدمة مسيرة العلم والمعرفة.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأشعري، الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ)، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ضبط: محمد أمين، ط، بيروت، دار الكتب العلمية.

٢. الإيجي، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦هـ)، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، شرح المواقف، والشرح لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط١، لبنان، دار الجيل.

٣. الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي، ١٤١٩هـ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تحقيق: محمد شرف الدين وآخرون، بيرو، إحياء التراث العربي.

٤. البَابِرْتيُّ، محمد بن محمد أكمل الدين، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، شرح وصية الإمام أبي حنيفة، تحقيق: محمد العايدي وحمزة البكري، ط١، الأردن، دار الفتح النشر.

٥. الباجوري، إبراهيم بن محمد الشافعي، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦. الباقلاني، محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ)، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد، ط١، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية.

٧. التفتازاني، مسعود بن عمر (ت٧٩٣هـ)، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، شرح المقاصد، ط١، باكستان، دار المعارف النعمانية.

٨. التهانوي، محمد علي، ١٩٦٩م، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.
٩. الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت ٨١٦هـ)، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٠. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، (ت ١٠٦٧هـ)، ١٩٤١م، كشف الظنون، بغداد، مكتبة المثنى.
١١. الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، أبو الفلاح، ابن العماد (ت ١٠٨٩هـ)، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط١، دمشق – بيروت، دار ابن كثير.
١٢. الدوري، د. قحطان عبد الرحمن، ١٤٣٧هـ – ٢١٠٦م، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ط٥، بيروت، كتاب ناشرون.
١٣. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مصر، دار إحياء الكتب العربية.
١٤. الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، ٢٠٠٢م، الأعلام، ط١٥، بيروت، دار العلم للملايين.
١٥. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، أبو الخير، شمس الدين (ت ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار مكتبة الحياة.
١٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت٩١١هـ)، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤، الإتقان في علوم القران، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٧. الشيباني، محمد بن الحسن أبو عبد الله (ت ١٨٩هـ)، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، الجامع الكبير، عني به: أبو الوفاء ورضوان محمد، ط١، باكستان، دار المعارف النعمانية.
١٨. الصابوني، أحمد بن محمود البخاري الملقب بنور الدين (ت ٧٧٥هـ)، ١٩٦٩م، البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، تحقيق: فتح الله خليف، ط١، مصر، دار المعارف.
١٩. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.
٢٠. العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر ، أبو الفضل (ت ٨٥٢هـ)، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، مصر، إحياء التراث الإسلامي.
٢١. العيني، محمود بن أحمد الحنفي، بدر الدين (ت٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث.
٢٢. القاري، ملا علي بن سلطان (ت ١٠١٤هـ)، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، شرح الفقه الأكبر، تحقيق: مروان محمد الشعار، ط١، سوريا، دار النفائس.
٢٣. قُطلُوبغا، قاسم بن قطلوبغا السودوني أبو الفداء الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، ١٤١٣هـ –١٩٩٢م، تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان، ط١، دمشق، دار القلم.
٢٤. القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله الحنفي (ت ٧٧٥هـ)، ١٣٣٢هـ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ط١، كراتشي، مطبعة مير محمد كتب خانه.
٢٥. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله (ت ٦٧١هـ)، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية.
٢٦. كحالة، عمر بن رضا الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، بيروت، .دار إحياء التراث العربي.
٢٧. كمال الدين، محمد بن محمد ابن أبي شريف المقدسي (ت ٩٠٦هـ)، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، المسامرة شرح المسايرة، تحقيق: كمال الدين قاري وعز الدين معميش، ط١، بيروت، المكتبة العصرية.
٢٨. الكوفي، الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله (ت ١٥٠هـ)، ١٣٦٨هـ، العالم والمتعلم، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، القاهرة، مطبعة الأنوار.
٢٩. اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبد الحي، ١٣٢٤هـ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، مع التعليقات السنية، ط١، مصر، مطبعة السعادة.
٣٠. الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد السمرقندي (ت ٣٣٣هـ)، ١٩٧٠م، التوحيد، تحقيق: فتح الله خليف، ط١، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية.
٣١. المقدسي، حسن بن أبي بكر (ت ٨٣٦هـ)، ١٤٣٢هـ – ٢٠١٢م، غاية المرام في شرح بحر الكلام، تحقيق: عبد الله محمد، ود. محمد السيد أحمد، ط، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث.

٣٢. النسفي، ميمون محمد بن محمد، أبو المعين (ت ٥٠٨هـ)، ٢٠١١م، تبصرة الأدلة في أصول الدين، تحقيق: محمد الأنور حامد، ط١، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث.

List sources and references:

The Holy Quran.

1. Al-Ash'ari, Imam Abu Al-Hassan Ali bin Ismail, 2421 AH - 2000 AD, Al-Lama fi refutation of the people of deviation and innovations, edited by: Muhammad Amin, edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
2. Al-Iji, by Adad al-Din Abd al-Rahman bin Ahmad, 1417 AH - 1997 AD, Sharh al-Mawaqif wa al-Sharh by Ali bin Muhammad al-Sharif al-Jurjani, edited by: Abd al-Rahman Amira, 1st edition, Lebanon, Dar al-Jeel.
3. Al-Babani, Ismail bin Muhammad Amin bin Mir Salim Al-Baghdadi, Clarifying what is hidden in the tail on revealing suspicions, edited by: Muhammad Sharaf al-Din and others, Peru, Reviving Arab Heritage.
4. Al-Babarti, Muhammad bin Muhammad Akmal al-Din, 1430 AH - 2009 AD, Explanation of the Will of Imam Abu Hanifa, edited by: Muhammad Al-Aidi and Hamza Al-Bakri, 1st edition, Jordan, Dar Al-Fath Publishing.
5. Al-Bajuri, Ibrahim bin Muhammad Al-Shafi'i, 1422 AH - 2001 AD, Tuhfat Al-Murid Sharh Jawharat Al-Tawhid, edited by: Abdullah Muhammad Al-Khalili, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
6. Al-Baqalani, Muhammad bin al-Tayyib, 1407 AH - 1987 AD, Introduction to the First in the Summary of Evidence, edited by: Imad al-Din Ahmad, 1st edition, Lebanon, Cultural Books Foundation.
7. Al-Taftazani, Masoud bin Omar, 1401 AH - 1981 AD, Sharh Al-Maqasid, 1st edition, Pakistan, Dar Al-Ma'arif Al-Numaniyah.
8. Al-Thanawi, Muhammad Ali, 1969 AD, Kashshaf Terminology of Arts and Sciences, Beirut, Library of Lebanon Publishers.
9. Al-Jurjani, Ali bin Muhammad Al-Sharif, 1403 AH - 1983 AD, Definitions, edited by: A Group of Scholars, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
10. Haji Khalifa, Mustafa bin Abdullah al-Qastanini, 1941 AD, Revealing Suspicions, Baghdad, Al-Muthanna Library.
11. Al-Hanbali, Abdul Hayy bin Ahmed bin Muhammad, Abu Al-Falah, Ibn Al-Imad (d. 1089 AH), 1406 AH - 1986 AD, Gold Nuggets in News of Gold, edited by: Mahmoud Al-Arnaout and Abdul Qadir Al-Arnaout, 1st edition, Damascus - Beirut, Dar Ibn Kathir. .
12. Al-Douri, Dr. Qahtan Abdul Rahman, 1437 AH - 2106 AD, The Islamic Doctrine and Its Doctrines, 5th edition, Beirut, Book Publishers.
13. Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad bin Abdullah, 1376 AH - 1957 AD, Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, 1st edition, Egypt, Dar Revival of Arabic Books.
14. Al-Zirakli, Khair al-Din bin Mahmoud al-Dimashqi, 2002 AD, Al-A'lam, 15th edition, Beirut, Dar Al-Ilm Lil-Millain.
15. Al-Sakhawi, Muhammad bin Abdul Rahman bin Muhammad, Abu Al-Khair, Shams Al-Din, The Brilliant Light of the People of the Ninth Century, Beirut, Dar Al-Hayat Library.
16. Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din, 1394 AH - 1974, Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl, 1st edition, Egypt, Egyptian General Book Authority.
17. Al-Shaybani, Muhammad bin Al-Hasan Abu Abdullah, 1401 AH - 1981 AD, Al-Jami' Al-Kabir, attributed to him: Abu Al-Wafa and Radwan Muhammad, 1st edition, Pakistan, Dar Al-Ma'arif Al-Numaniyah.
18. Al-Sabouni, Ahmed bin Mahmoud Al-Bukhari, nicknamed Nour al-Din, 1969 AD, The Beginning of Sufficiency in Guidance in the Principles of Religion, edited by: Fathallah Khalif, 1st edition, Egypt, Dar al-Maaref.
19. Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir, 1420 AH - 2000 AD, Jami' Al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an (Tafsir Al-Tabari), edited by: Ahmed Muhammad Shaker, 1st edition, Beirut, Al-Resala Foundation.
20. Al-Asqalani, Ahmed bin Ali bin Muhammad bin Ahmed bin Hajar, Abu Al-Fadl, 1389 AH, 1969 AD, Anbaa Al-Ghamr bi Ibn Al-Omar, edited by: Dr. Hassan Habashi, Egypt, Reviving Islamic Heritage.
21. Al-Aini, Mahmoud bin Ahmed Al-Hanafi, Badr Al-Din, Umdat Al-Qari, Sharh Sahih Al-Bukhari, Beirut, Dar Ihya Al-Turath.
22. Al-Qari, Mulla Ali bin Sultan, 1430 AH - 2009 AD, Explanation of the Greater Jurisprudence, edited by: Marwan Muhammad Al-Sha'ar, 1st edition, Syria, Dar Al-Nafais.
23. Qutlubugha, Qasim bin Qutlubugha Al-Soudani Abu Al-Fida Al-Hanafi, 1413 AH - 1992 AD, Taj Al-Tarajim, edited by: Muhammad Khair Ramadan, 1st edition, Damascus, Dar Al-Qalam.

24. Al-Qurashi, Abdul Qadir bin Muhammad bin Nasrallah Al-Hanafi, 1332 AH, Luminous Jewels in the Hanafi Tabaqat, 1st edition, Karachi, Mir Muhammad Kutub Khana Press.
25. Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr Abu Abdullah, 1384 AH - 1964 AD, Al-Jami' li-Ahkam Al-Qur'an (Tafsir Al-Qurtubi), edited by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Tfaysh, 2nd edition, Cairo, Dar Al-Kutub Al-Misriyah.
26. Kahhala, Omar bin Reda Al-Dimashqi, Dictionary of Authors, Beirut, Arab Heritage Revival House.
27. Kamal al-Din, Muhammad ibn Muhammad ibn Abi Sharif al-Maqdisi, 1425 AH - 2004 AD, Al-Musamara Sharh al-Musa'irah, edited by: Kamal al-Din Qari and Izz al-Din Maamish, 1st edition, Beirut, Al-Mattabah Al-Asriyah.
28. Al-Kufi, Imam Abu Hanifa Al-Nu'man bin Thabit, may God have mercy on him, 1368 AH, the scholar and the learned, edited by: Muhammad Zahid Al-Kawthari, Cairo, Al-Anwar Press.
29. Al-Laknawi, Abu Al-Hasanat Muhammad Abd Al-Hay, 1324 AH, Al-Fawa'id Al-Bahiyyah fi Hanafi Biographies, with Sunni Commentaries, 1st edition, Egypt, Al-Saada Press.
30. Al-Maturidi, Abu Mansur Muhammad bin Muhammad al-Samarqandi, 1970 AD, Al-Tawhid, edited by: Fathallah Khalif, 1st edition, Alexandria, Egyptian Universities House.
31. Al-Maqdisi, Hassan bin Abi Bakr, 1432 AH - 2012 AD, Ghayat al-Maram fi Sharh Bahr al-Kalam, edited by: Abdullah Muhammad, Dr. Muhammad Al-Sayyid Ahmed, ed., Cairo, Al-Azhari Heritage Library.
32. Al-Nasafi, Maymun Muhammad bin Muhammad, Abu Al-Mu'in, 2011 AD, Insights into Evidence in the Fundamentals of Religion, edited by: Muhammad Al-Anwar Hamid, 1st edition, Cairo, Al-Azhari Library for Heritage.